للعلاقات الاجتماعية تقوم على الحسب المزدوج ، هي في تناقض داخل وحدة مع العشيرة . لذلك تقوم الصراعات داخل العصبيات ، وتتشكل التحالفات الجديدة .

ب ــ غير أن هذه الوحدة التناقضية ، تلعب دور علاقة انتاج . وهي حين تحكم بالعشيرة ، فان هذا يعود الى شكل الملكية المرتبطة بالغلبة وبالدولة .

ج ــ في مرحلة الانتقال ، أصبحت العشيرة شكلا غير ملائم لنمط جديد قاعدته التجارة والخدمات والملكية الفردية . فبدأ انهيار العشيرة داخل وحدتها التناقضية مع العائلة .

د ــ هنا تبرز الطائفة . فالطائفة لا تحل فقط مكان العشيرة . انها تأتي في ظروف انهيار الدولة العثمانية وتفسخها وتجزئتها . انها عنصر الوحدة الجديدة الذي يلائم شكل الملكية الجديدة : الملكية الفردية (العائلة) . يضمها في وحدة ويفتتها في آن : يوحدها داخل التوزيع . فالطائفة هي قاعدة التوزيع . ويفتتها الى وحدات صغيرة لا تأتلف الا داخل البنيان الطائفي .

الطائفة هي بهذا المعنى عنصر قرابة : الزواج الداخلي . وقاعدة توزيع في شرط التفسخ والتجزئة القادمين مع السيطرة الاستعمارية . هكذا يأتي عامل الايديولوجيا الدينية ليشكل نعرة توحيد . أطارا يجمع العملاء الاقتصاديين داخل علاقة قرابة بعيدة « مناصرة » تضبط عملية توزيع الثروة .

٢ ــ التوزيع

في المجتمعات الرأسمالية ، يتحدد توزيع الدخل بتوزيع وسائل الانتاج . فتوزيع وسائل الانتاج هو الذي يحدد الانشطارات الطبقية ، أي القاعدة الاقتصادية التي يقوم عليها الصراع الطبقي .

أما في النمط اللبناني الوسيط ، فان توزيع الدخل يتبع قانونا مختلفا . اذ انه يقوم على المستوى المفهومي كنتيجة لمفهوم الملكية في هــذا النمط . لن نستعيد الآن تحليل هذا المفهوم ، بل سنقوم باستخلاص نتائجه على المستوى السياسي الحقوقي من جهة ، وعلى مستوى الانشطارات الطبقية من جهة أخرى .

أ ــ الاحتكار

حين حددنا النمط الرأسمالي اللبناني بوصفه وسيطا ، اشرنا الى دور الدولة بوصفها منظما لهذه الوساطة . غير أن هذا التحليل الاولي يقوم على معادلة معقدة لها ثلاثة أطراف : الوساطة ــ السلطة ــ المركز . فكيف تتحدد علاقات هذه الاطراف .

الوساطة والمركز . الوساطة هي ملكية حقوقية لامتيازات شركات واحتكارات انتاج وخبرات لها تاريخها في التطور الاقتصادي في لبنان . انها تقوم على شريحة بورجوازية تجارية ، استطاعت في فترة خلخلة الدولة العثمانية ، والهجمة الغربية الرأسمالية على المستعمرات ، أن تتشكل . فلقد تكونت كشريحة طبقية في العلاقة المباشرة مع المركز ، بوصفها وسيطا اقتصاديا وعميلا مباشرا للبضائع الاجنبية . لحظة التكون هذه ، لا تنفي وجود شرائح التجار في الساحل قبل الامتيازات وما استتبعها على المستوى الحقوقي ــ السياسي . لكن هذه الامتيازات شكلت قفزة نوعية في هــذه الشرائح ، وكونتها من جديد ، بوصفها شريحة طبقية تتعاطى الوساطة الاقتصادية